المحاضرة رقم 10: الدولة الرستمية: 160-296هـ /776-909م

تمهيد:

قبل البدء في تاريخ الدولة الرستمية لا بد علينا أن نعرج على قضية أساسية ألا وهي انتشار الحركات المذهبية مع عملية الفتح الحقيقي لإفريقية وسائر بلاد المغرب وتأثيرها على السكان من المسلمين الأمازيغ الذي أدى بهؤلاء إلى اعتناقها والدفاع عن تعاليمها ومبادئها، والحديث في ذلك ينطبق على حركة الخوارج من جهة والتي كانت تنقسم بدورها إلى عشرين فرقة من بينها الإباضية، ومن جهة أخرى حركة الشيعة التي كان لها تأثير كبير على الحياة السياسية في المغرب في العصر الوسيط، ويظهر تأثير هذه الحركات المذهبية جليا في ظهور أول دولة مستقلة في تاريخ الجزائر(إستقلال عن الخلافة الإسلامية) ألا وهي الدولة الرستمية التي تركزت حدودها الجغرافية في جزء كبير من المغرب الأوسط.

تعريف الدولة الرستمية:

عرفت في التاريخ بهذا الإسم نسبة لمؤسسها عبد الرحمن بن رستم، كما جرت العادة تسمية الدول الإسلامية في العصور الوسطى بأسماء مؤسسيها، وهي على المذهب الإباضي ظهرت رسميا سنة 160هـ / 777م بمدينة تيهرت، واستمرت حوالي 136 سنة وسقطت على يد أبي عبد الله الشيعي 296هـ/909م ، أما عن المذهب الإباضي الذي تقوم عليه هذه الدولة فهو المذهب الأكثر اعتدالا للخوارج، هؤلاء الذين كانوا في ثورة مستمرة مع الأمويين ثم العباسيين في المشرق وفر منهم طائفة إلى المغرب ليلتمسوا السند من البربر وليتقوا به تصرف بعض رجال السلطة، ومن هؤلاء الذين فروا أسسوا فرقة على يد عبد الله بن إباض المري التميمي والذي بقيت بقاياه إلا في بلاد وادي ميزاب وفي جزيرة جربة وفي جبل نفوسة والجبل الأخضر وفي زنجبار وفي أرض عومان، أما عن الدولة الرستمية المعتنقة لهذا المذهب فقد تكونت على يد عبد الرحمن بن رستم الذي آثر النجاة بنفسه إلى

مواطن قبيلة البتر في المغرب الأوسط انتظارا لفرصة تأسيس الدولة فنزل على قبيلة لماية لحلف قديم بينه وبينهم ولكونها إباضية فقاموا باحتضانه وبايعوه بالإمامة وشرعوا في بناء مدينة تيهرت على مدينة مينة في سفح جبل جازول، ومن المصادر ما تذكر أنها أسست على جبل منيع يسمى "سوفجج" والتي أصبحت لمدة قرن ونصف عاصمة لدولة إباضية وهي الإمامة الرستمية، وكانت هذه العاصمة مركزا لبث دعوتهم، هذه المدينة المعروفة في يومنا هذا ب"تاقدامت" غرب المدينة الرومانية (تيارت الحالية)، وكان شروعهم في بنائها سنة 148هـ ثم كانت بيعة عبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ.

الحدود الجغرافية للدولة الرستمية:

شهدت الفترة الأولى من الدولة الرستمية حدوداً غير ثابتة فأحيانا تتسع وأحيانا أخرى تتقلص وهذا كان في السنوات الأولى للأمراء الثلاث لهذه الدولة.

ومع ذلك تعد هذه الفترة أقصى حد في اتساع الدولة الرستمية إذ كانت تضم كافة المغرب الأوسط وأجزاء من المغرب الأدنى حيث كان يحدها شرقا سيرت والدولة الأغلبية وغرباً تلمسان ونهر ملوية.

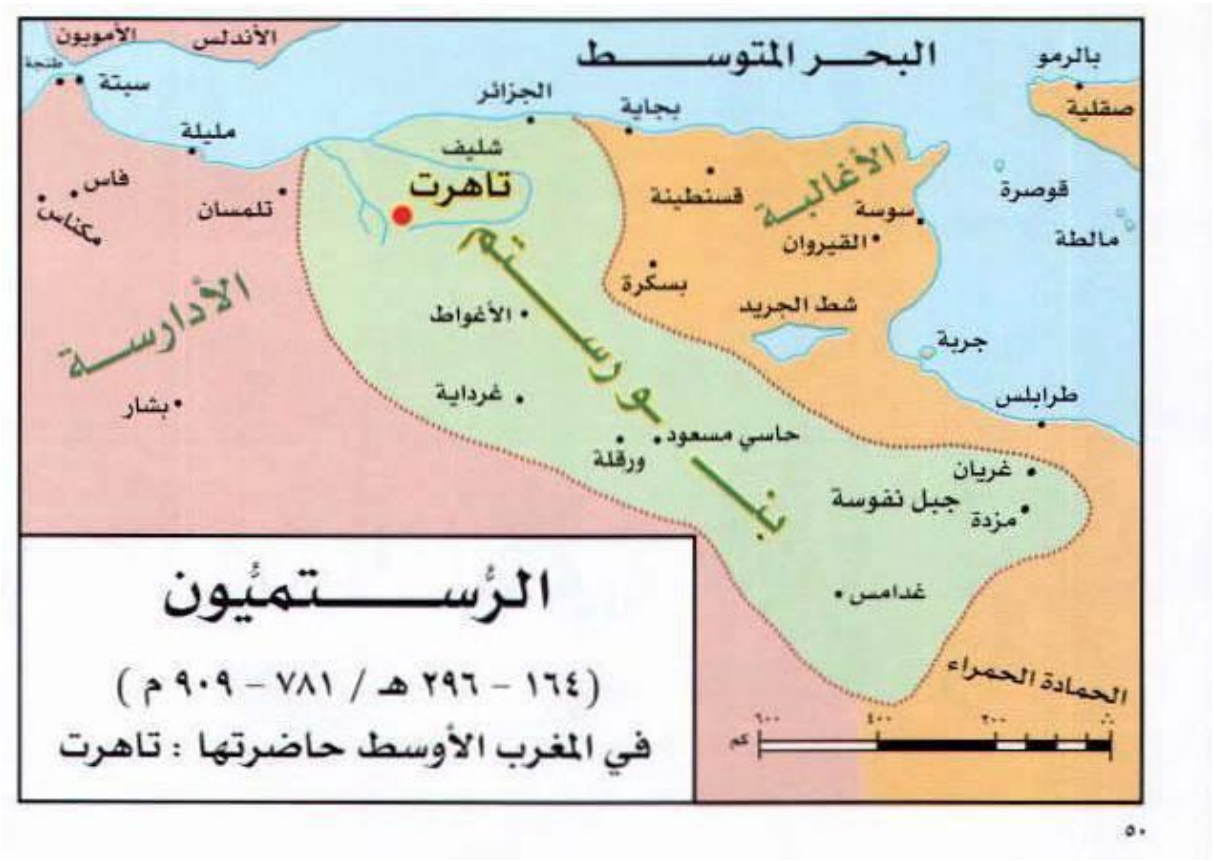

نظامها السياسي:

يرتكز على أساس الكتاب والسنة حسب ما تؤديه قواعد اجتهاد أئمة المذهب الإباضي تحت إدارة وإشراف رئيسها الأعلى الملقب بالإمام وهو نظام شبه وراثي ، بالرغم من أننا نرى أن كل حكام هذه الدولة من أحفاد المؤسس وأسباطه والإمام يتعين في منصبه هذا على حسب الكفاءة أو العهد إليه من سلفه وله مستشارون وأمناء بيت المال ومحتسبون، وللقاضي السلطة المطلقة في تنفيذ الأحكام الشرعية وهو في الغالب يكون من غير أهل البلد ليهابه الناس وهناك شرطة لحماية الأمن العام وجند مختلط من العرب والعجم والبربر.

تميزت الأوضاع السياسية للدولة الرستمية بالنشاط والحيوية والاستقرار والإضطراب في آن واحد، وقد كان يعيش في ظلها أتباع كل المذاهب الإسلامية وكانوا يمارسون عبادتهم بكل حرية وأمان ، وكانت لهم مساجدهم وبيوتهم الخاصة التي يعيشون فيها، كما تخللت تلك

الفترة الآمنة ثورات وحروب وفتن كفتنة "إبن فندين" و"إبن عرفة"، كما أدى التنافس على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة وانقسام أتباع المذهب الإباضي إلى سقوط الدولة بسهولة في يد أعدائها.

أئمة الدولة الرستمية:

عبد الرحمن بن رستم: 144-162هـ ثم عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي بقي في الحكم مدة 20 سنة ثم جاء إبنه أفلح بن عبد الوهاب الذي حكم مدة خمسين عاما من 188-238هـ ، ثم تتابع في الحكم خمسة أئمة هم: أبو بكر، وأبو يقضان، وأبو حاتم فيعقوب أبناء أفلح، فيقضان بن أبي اليقضان آخر أمرائهم.

وفي الأخير نستنتج أن الدولة الرستمية خلفت عدة آثار في المغرب الأوسط والأدنى أهمها:

- نشر الإسلام بين المغاربة وتثبيت أسسه.
- وضع أسس التسامح المذهبي والانفتاح على جميع الثقافات.
- نشر اللغة العربية بينهم.